زنابق وتسابيح

أنشودة الصباح ...

« إلهامات من سحر الحب وجمال
الطبيعة فى ضفاف الجزيرة »

للأستاذ محمود حسن إسماعيل

سبقت إلى النيل خطو الصباح … فحييته بالصبا والفتون
وخمر الهيبة فى يديك … وكأس من الحب ملأى جنون
وتنثرك تغريدة ما وعى … ترانيمها غير قلبى الحزين
عشقت صداها تغنيتها … ولقنتها لشفاه السنين
وما كنت أدرى الهوى والحياه
ولا السحر فى أغنيات الشفاه
ولا كنت أعلم سر الإله
سوى بعدما لحت لى فتنة … وأقبلت لى مرة تبسمين!

* * *

وعيناك علمتانى السجود … وكيف أخر مع العابدين
لهم دينهم فى زحام الصلاة … ودينى الضياء الذى تنشرين
عبدت بك الله ... مالى دمى … ولا فى فمى غير هذا الرنين
فيا ولها ناعساً فى الجفون … ويا سجدتان بدر الجبين
ويا قبلتان بخد الصباح
ويا بسمتان بثغر الأقاح
طفت بين جنبى نار الجراح
تردى لبلواى سحر المنى … وبثى حديث الهوى باعيون!

* * *

وإيقاع صوتك فوق الضفاف … أهازيج رفافة بالحنين
سمعت لناهن تحت الظلال … أناجيل تتلى على الراهبين
وأنغام رقص بعيد المدى … حلمت به فى سماء الظنون
عشا شجن الطير إغراده … وتيم فى صمتهن السكون
فهللن بين خميل وأيك
وهفهفن مثل حنانا إليك
وكدن يقبلن طهراً يديك
ويسجدن حولك فوق الربى … وتخشع للحب هام الغصون!

* * *

وقلت: هنا النهر قلت: اصمتى … هنا الله يرعى هوانا الأمين
هنا قدر فى الضحى نائم … أساريره طلسمتها القرون
يسمونه «النيل» وهو الذى … ينيل ويشفى صدى الظامئين
سقى الدهر من جامه فارتوى … وروى بخمرته الملهمين
تغنى بأسراره الشاعر
وكبر فى شطه الكافر
وخر له السحر والساحر
ولما تهادت عليه الصبا … تصابى خفيا خطا العاشقين!

* * *

أتيناه والصبح طفل غرير … تهدهده سكرة الحالمين
طهور السارب ما لوثت … خطا شمسه قدم العابرين
سوى بائسين إلى قوتهم … تنادوا: سلام على البائسين
أفاقوا مع الفجر فوق الثرى … حيارى على أرضهم متعبين
وصياد رزق على الشاطئين
من اليأس قلب نار اليدين
وفى وجهه من كلال وأين
بقايا من الليل يمشى بها … إلى كوخه فى شباب الأنين!

* * *

ونجوى تمامية فى الشاطى … تحجب إلا عن المغرمين
فهمنا لناها وأسرارها … فهمنا بها فى الضحى حائرين
وفى ظلنا للهوى رعشة … وقفت على طيفها تسألين
وصدرك يهتز تحت السنا … كأنشودة فى أكف الحنين
شجاها التمنى فهزت لنا
عطايا من الله طافت بنا
ونجوى من الله رفت هنا
وقالت: سلام الهوى والعفاف … على قبلة فى فم الخائفين...

(وزارة المعارف) محمود حسن إسماعيل